العولمه من منظور إسلامي

د / أحمد عبد الله الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

العولمة والثقافة الإسلامية

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وصلوات ربي وعظيم تسليماته على هادي الأمة وماحي الظلمة وكاشف الغمة سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ورحمة الله للعالمين . وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن اقتفى أثره واتبع هديه إلي يوم الدين ... وبعد .

فإن الوفاء لله هو مقدمة الوفاء للبشر .. والحفاظ على دين الله مقدمة للحفاظ على حقوق البشر .. من هذا المنطق كانت هذه الدراسة – المختصرة – الهادفة حول قضية كثر الحديث عنها ، وتناولتها أقلام ، وزلت فيها أفهام .. والمتناولون لها ما بين مسرف على نفسه في الطرح ظناً منه أن الإنقاذ مما نحن فيه هو الأخذ بكل ما لدي الغرب من طيب وخبيث وصحيح وسقيم فهم سفن النجاة ، ومن ثم أخذوا يدافعون عن تيار العولمة بكل ما أتوا من جدل لا لشيء إلا لأنه آت من الغرب .

وثلة أخرى يحمد لهم موقفهم من هذا التيار .. لمسوا ببصيرة وأناة ما ينطوي عليه من سم قاتل وداء فتاك ومعوق للمجتمع الإسلامي فذادوا عن موقفهم بسلاح قوي – هو العلم الصحيح – المستند إلي الحكمة من هدي القرآن والسنة . بلا تشنج باطل أو تفلسف خادع فأدوا دورهم وفق منهج إسلامي يعرف حقها وأمانتها .

لقد شغل العقل الإسلامي بالصدمات السياسية والفكرية وكان تيار العولمة الذي تفجر في الآونة الأخيرة أشد صدمة لإيقاظ العقل واستنهاض الفكر . والاضطلاع بالمسؤولية لمواجهة مخاطر هذا التيار . والذود عن تراث الأمة وهويتها ، وذلك من خلال نظرة واقعية للظاهر .. بعللها وآثارها المتوقعة وتقويم

هذه الظاهرة ، وتحديد الموقف منها انطلاقاً من هدي الإسلام بوصفه قاعدة الهوية الكبرى والحاسمة لأبناء المجتمع المسلم .

كانت هذه الخاطرة السريعة نتيجة مصاحبة متأنية لكثير مما دون عن العولمة وما قيل في شأنها .

وثمة خاطرة أخري .. كنت نويت إرجاءها إلي نهاية الدراسة ، لكن آثرت أن أذكرها مقدما ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ . أوجز هذه الخاطرة فيما يلي :

في العقود الأخيرة ظهرت تيارات عديدة – إن صعب حصرها لا يصعب التمثيل لها – فحسبنا التمثيل لا الحصر فعلي سبيل المثال تيار . الحداثة . الوافد الذي تعني له وبه جمع من المثقفين بعد أن ثبت فشله واضمحلاله ، وخفت بريقه وباء أدعياؤه بالخزى والخذلان ، وكفر به الداعون إليه فلم يجدوا حيلة إلا أن يخرجوا بمصطلح آخر أطلقوا عليه . ما بعد الحداثة . بعد ما لحق بهم من عار ودمار .. نفس الأمر للذين صفقوا للاشتراكية والرأسمالية بعد أن انهارت على رؤوس أصحابها ..

من هذا المنطق أقول : متفائلاً وثقة مطلقة واعتذازاً لا نظير له بإسلامي – الذي هو دعوة الحق – إن تيار العولمة سينهار وتخبو جذوته ويصدأ بريقه وينطفئ لمعانه حتى تحين ساعة الانهيار – بمشيئة الله – ويتواري في مقبرة التاريخ وإن شئت . مزبلة ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أرادوا بالعولمة الشر كله – خاصة المسلمين – وسيرد كيدهم في نحورهم .

خاطرة أخرى – وأخيرة – ليتها تجد آذانا صاغية وعقولاً واعية وأفئدة نقية .. من الثابت أن الضدين لا يجتمعان ، فلا يجتمع نور وظلام .. ولا يجتمع علم وجهل .. ولا حق وباطل ... وهكذا كل الأضداد .

إني على يقين لو أن أبناء جلدتنا ومن يتكلمون بألسنتنا وعوها لما انساقوا وراء تيارات مضللة ، ولاعتزوا بكل ما في إسلامهم من قيم وخلق ، والحقيقة التي يجب ألا تعزف عن عقولنا أبداً أن الطيب والخبيث لا يستويان ، وهذا ما أعلنه رب العزة – جل ثناؤه ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (١) ، ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ﴾ (٢) .

ومن الثوابت أيضاً – أنه مهما أظهر هؤلاء ودهم وأعلنوا ولاءهم وأطاعوا طاعة عمياء فلن يرضوا عنهم ... فهل يعي المتمرغون تحت أقدام – دعاة العولمة – هذه الحقيقة لقد أعلن القرآن العظيم هذه الحقيقة !! ولمن ؟ لخير الخلق النبي الخاتم حين قال سبحانه : ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (٣)

وعلى هذه الأسس فإن الصراع بين الحق والباطل قائم ما بقيت البشرية وسيظل الحق مسموع الكلمة مرفوع اللواء مهما كانت دعاوى الباطل وسطوته .

وسيتحقق نصر الله لأهل الإيمان – ويظهر هذا الدين على ما ظهر عليه الليل والنهار – وصدق الله العظيم القائل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٤) .

والله من وراء القصد .. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلي الله وسلم على معلم الناس الخير سيدنا محمد (ﷺ) .

---

١ – سورة المائدة الآية رقم (١٠٠) .

٢ – سورة الرعد الآية رقم (١٧) .

٣ – سورة البقرة الآية رقم (١٢٠) .

٤ – سورة غافر الآية رقم (٥١) .

مفهوم العولمة

هذا المصطلح الذي أصبح المادة المفضلة ، والقاسم المشترك لدي وسائل الإعلام المختلفة على تباين اتجاهاتها واختلاف أهدافها لم يتفق بعد على تحديد معناه ، ولا بيان المقصود به ..

وأوضح برهان على هذا .. أنه في شهر إبريل سنة ١٩٩٨ م ، عقد مؤتمر بالقاهرة واستمرت أعماله لمدة خمسة أيام عن العولمة ، وقضايا الهوية الثقافية ..

ورغم البحوث الكثيرة والمداخلات المتعددة في المؤتمر – رغم هذا – خرج المؤتمرون وكل واحد يفهم العولمة على غير ما يفهمها الآخرون وكل وقف عند فهمه .. حتى قال أحد المعلقين في المؤتمر ... (لقد خرجنا من المؤتمر بأسئلة أكثر مما دخلنا فيه .. وبحيرة أكثر عن العولمة) (١)

ومعني هذا أن . المصطلح . بهذه الصياغة موضع لختلاف على الأقل في عالمنا الإسلامي ، فالمصطلح وافد .. وما أكثر المصطلحات الوافدة التي تجد رواجا في عالمنا .. ونجد من أبناء جلدتنا ومن يتكلم بلغتنا من يدفع بنفسه في أحضانها ويتهالك عليها ، ويدافع عنها بكل إصرار وضراوة ، حرصاً منه على أن تتحول هذه الاتجاهات الوافدة إلي واقع تعيشه مجتمعاتنا الإسلامية المؤمنة مع أن الحقيقة الواضحة جداً ، والتي لا يختلف عليها اثنان ، أن بين هذه الاتجاهات وإسلامنا خلافاً جذريا ، بحيث لا يمكن أن يجتمعا .

لكن !! مع كل هذا حاول الكثيرون وضع مفهوم محدد – للعولمة باعتبارها ظاهرة لا يمكن بأي حال التغاضي عنها ، أو رفضها ، وبالاستقراء والتتبع وجدت تعريفات كثيرة .. أذكر منها :

---

١ – د / عبد الرحمن زيد " العولمة الغربية والصحوة الإسلامية " ص (٦) .
وما ذكر تحقيق نشر في صحيفة المدينة عن المؤتمر في ١٤١٨/١٢/٢٥ هـ .

يمكن فهم العولمة – على وجه العموم من الناحية الاصطلاحية بأنها حركة تهدف إلي تعميم وتطبيق أمر ما على العالم كله .

فمثلاً : عولمة الاقتصاد . جعل الاقتصاد في جميع أنحاء العالم يتبع النظام نفسه ، ويطبق الأساليب ذاتها ، ويستخدم آليات بعينها ، لصالح جميع الشعوب دون تمايز بينها .

وعولمة السلام . تعني أن تتعاون جميع الدول لحفظ السلام في العالم ، كما تتعاون على قتال المعتدين .. ويمكن تطوير مفهومها ليكون .. حركة قامت على اختيار جميع دول العالم اختياراً حراً ، لتعميم وتطبيق أمر ما عليها جميعاً دون تمايز بينها .

وحيث إن العلم الحديث والتقنية المتقدمة هما مطيتا العولمة ، ومع مراعاة التعددية الثقافية والخصوصية الدينية والحضارية للشعوب ، وسعيا إلي تحقيق الأمن والرفاهية والسلام للجميع يمكن أن ينتهي إلي تحديد مفهوم العولمة كما ينبغي أن تكون على النحو التالي :

توظيف التقدم العلمي التقني المعاصر لتحقيق الأمن والسلام العالميين ، والسعي لتحقيق الرفاهية لجميع دول العالم ، وبناء علاقات هذه الدول على أساس الاعتراف بالتعددية الثقافية والخصوصية الدينية والحضارية (١) .

ومن التعريفات لها أيضاً ، ان العولمة تعني :

- المجتمع الإنساني الواحد ، وصيرورة العالم واحداً على النمط الغربي سياسة واقتصاداً واجتماعاً وثقافة .

---

١ – د / عبد الله التركي " موقف الإسلام من العولمة " مجلة دراسات إسلامية ، العدد الرابع ١٤٢٢ هـ ص (٢١٨ ، ٢١٩) .

• اختراق ثقافات الأمم الضعيفة واحتلالها من قبل ثقافات القوى الكبرى .

• غزو ثقافي واقتصادي تحت غطاء قانوني من المعاهدات والاتفاقات ، عبر انفتاح إعلامي وفضائي لا خطام له ولا زمام .

• سيادة النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة في المجتمعات البشرية كلها .

• إخضاع العالم لقوانين مشتركة تضع حداً فيه لكل أنواع السيادة .

• تدفقات وموجات من الغرب تخترق الحدود السياسية والوطنية للدول والهياكل الاقتصادية للدول والمجتمعات الشرقية والإسلامية لاحتوائها وتحويلها إلي صور منها تابعة للنظم الغربية،والمقومات الثقافية والاقتصادية والسياسية (١)

هذه بإيجاز أوضح تعريفات لمصطلح العولمة من حيث حقيقته وما يهدف إليه ، بعيداً عن محاولات التنميق والمغالطة التي تخفي حقيقته البشعة .

دعوة أو توجه يهدف إلي صياغة الحياة الإنسانية – عامة – لجميع الدول . وفق أساليب ومناهج الحضارة الغربية ، والمجتمعات النصرانية ، والقضاء على كل ما يخالفها من حضارات وثقافات ، وبخاصة الحضارة والثقافة الإسلامية . فهي إذن دعوة لصناعة حياة المجتمعات البشرية وفق القيم والعادات الغربية وتحطيم ما عداها .

وعلي هذا ... فهي تعني الهيمنة والسيطرة من خلال القوة العظمي .. حتى أصبح شائعاً لدي الجميع الآن .. أن العولمة تعني الأمركة .. مما جعل أحد المسئولين الأمريكيين وهو " ديفيد روشكويف " أستاذ العلاقات الدولية بجامعة

---

١ – العولمة الغربية .. نقلاً عن " ملف العولمة " مجلة المعرفة .. محرم وصفر ١٤٢٠ هـ . " العرب والعولمة " مجلة المستقبل (٢٢٨ ، ٢٢٩) بتصرف .

كولومبيا والمسئول في حكومة كلينتون يدافع في تحيز سافر عن عولمة المنظومة الثقافية الثورة الأمريكية بقوله " يذهب العديد من المراقبين إلي أن استغلال الفرص التي خلقتها المعلوماتية الكونية للترويج للثقافة الأمريكية على حساب الثقافات الأخرى هو شيء بغيض ، لكن هذا النوع من النسبية أمر خطير بقدر ما هو خاطئ ، إذ إن الثقافة الأمريكية تختلف جوهريا عن الثقافات ابنة بيئتها في العديد من المجتمعات الأخرى ، فالثقافة الأمريكية هي مزيج من المؤثرات والمناهج من مختلف أنحاء العالم ، وقد انصهرت عن وعي في حالات عديدة وسط واقع اجتماعي يسمح بازدهار الحريات الشخصية والثقافات ، وإذ يدرك الأمريكيون ذلك ، فإنهم يجب ألا يخجلوا من القيام بما هو في مصلحتهم الاقتصادية والسياسية والأمنية ، وبالتالي مما هو في مصلحة العالم ككل ، ويتعين على الولايات المتحدة ألا تتردد في الترويج لقيمها ، وفي سعيهم لأن يكونوا مهذبين أو سياسيين ، وينبغي سعي الأمريكيين ألا ينكروا حقيقة أنه بين كل الأمم التي عرفها تاريخ العالم أن أمتهم هي الأكثر عدلاً ، والأكثر تسامحاً والأكثر حرصاً على إعادة تقييم الذات وتحسينها ، وهي النموذج الأفضل للمستقبل ، ويتعين على الأمريكيين أن يروجوا لرؤيتهم للعالم ، لأن الفشل في القيام بذلك أو تبني موقف : " عش ودع غيرك يعش " يعنيان التنحي ، فهل تبني قادة لأجانب لنماذج تشجع النزعة الانفصالية والصدوع الثقافية التى تقوض الاستقرار ويمثل تهديداً لمصالح الولايات المتحدة والسلام الإقليمي ، وللأسواق الأمريكية ولقدرة الولايات المتحدة على القيادة ؟ .

إن الإجابة هي لا بالتأكيد !!

فالنسبية ليست سوي قناع يختفي خلفه هؤلاء الذين يتجنبون إمعان النظر وسواء قبل الأمريكيون كل حجج هؤلاء فإنه يجب أن يدركوا أنه كلما اتسعت أو لم يقبلوا الفجوات بين القيم الثقافية في العالم كان من المرجح أكثر أن تتولد النزعات إذ أن الشرط الحيوي اللازم للحصول على المكاسب المثلي من التكامل

الكوني يتمثل في التمييز بين السمات الثقافية التي يمكن ويجب التسامح معها – بل وتشجيعها حقا – وبين تلك التي تمثل الشروخ والتي ستصبح شروخاً (١) .

ونفس الاتجاه يعبر عنه " داني رودريك " أستاذ الاقتصاد السياسي في جامعة هارفارد بقوله " يجب ألا نفزع من العولمة ، كما يجب ألا نأخذها بخفة ، فالعولمة تفتح آفاقاً ، وتتيح فرصاً هائلة أمام أولئك الذين لديهم المهارة والقدرة والمؤهلات التي تمكنهم من الحركة والازدهار في الأسواق العالمية .. كذلك يمكن أن تساعد العولمة الدول الفقيرة على الإفلات من قبضة الفقر ، وهي ليست قيداً على الاستقلال الوطني بالقدر الذي تفترضه الأحاديث والمنافسات الشعبية ، غير أن للعولمة من الجانب الآخر ضغوطاً لخفض أجور العمال غير الفنيين في الدول الصناعية المتقدمة ، وتفاقم الإحساس بتناقص الأمان الاقتصادي ، وتعرض أشكالاً من النظم المجتمعية المرعية للخطر ، وتضعف مظلات الضمان الاجتماعي (٢) .

ولعل أبرز مظاهر العولمة الأمريكية ذلك الحضور على المستوى العالمي للولايات المتحدة ... والأمر المؤكد أن العولمة ساعدت كثيراً على هذا الانتشار الواسع بالعالم .. ونؤكد ما سبقت الإشارة إليه أنه في كثير من بلدان العالم يتوافق مصطلح العولمة مع الأمركة ..

ولعل الوضع الحالي للولايات المتحدة بحكم سيطرتها السياسية والاقتصادية وقبضتها على السوق العالمية يخول لها أن تضع ما يتفق مع مصلحتها من قواعد وشروط ..

---

١ – الإسلام والعولمة ، مجموعة من الباحثين ص (١٣ ، ١٤) .

٢ – المصدر السابق ص (١٥) .

الأمر الذي جعل البعض يقف موقف الرفض المطلق لهذا النظام بل يعتبره فخا للتبعية المطلقة وتحقيق المصالح .. وهذه الطريقة كما يقول الألمانيان " هانس بيتر مارتين وهارولد شومان " صاحبا كتاب ، فخ العولمة :

تتناقض مع التقاليد السائدة في أمريكا ، فالزعم بأن أمريكا تساعد باقي العالم في حل مشاكله حبا في الخير ولوجه الله لا غير هو زعم باطل ، فلغض النظر عما بينها من اختلافات لا تحقق حكومات الولايات المتحدة منذ قديم الزمان إلا ما تراه يخدم مصلحتها القومية .. ولو رأت الولايات المتحدة أن العولمة التى تتبناها ستهددها بأزمات اقتصادية .. من المتوقع جداً أن تتراجع عن العولمة مع أن ذلك البلد على وجه الخصوص ، هو الذي حمل العالم على الخضوع لقوى السوق خضوعاً مطلقاً (١) .

ويقرر الكاتبان الأثر السيئ للعولمة بقولهما ، مع نمو العولمة يزداد تركز الثروة ، وتتسع الفروق بين البشر وبين الدول اتساعاً لا مثيل له .. ويشير إلي أن ٣٥٨ مليار ديرا في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢٠٥ مليار من سكان المعمورة ، أي ما يزيد قليلاً على نصف سكان العالم .... وأن هناك ٢٠% من دول العالم تستحوذ على ٨٥% من الناتج العالمي الإجمالي . وعلى ٨٤% من التجارة العالمية ويمتلك سكانها ٨٥ % من مجموع المدخرات العالمية .. وهذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة ، حيث يستأثر قلة من السكان بالشطر الأعظم من الدخل الوطني والثروة القومية في حين تعيش أغلبية السكان على الهامش ، وهذا التفاوت الشاسع في توزيع الدخل والثروة ، سواء على الصعيد العالمي أو المحلي . لم يعد بالأمر المزعج ، بل بات في رأي منظري العولمة مطلوباً في حلبة التنافس العالمي الضاري (٢) .

---

١ - فخ العولمة للألمانيين ، هانس مارتين وشومان والكتاب صدر عن سلسلة عالم المعرفة في الكويت ، ترجمة عدنان عباس ص (٢٨٩) .

٢ - المصدر السابق .

هذه الآثار السيئة التى أشار إليها هذان الكاتبان – وغيرهما كثير – هي لا شك مرعبة ومفزعة وغير إنسانية ، لكن كل آثارها السيئة تهون حينما نعرف أنها آثار تحدث على المستوي المحلي كما تحدث على المستوى العالمي وأنها آثار – في جملتها فردية ، أو في أخطر حالاتها فئوية ، تظهر بين فئة وأخري .. أما الآثار التي هي أكثر سوءاً ، وأشد بشاعة ، وأفظع خطراً ، فتلك التي تقع على مستوي الدول أو الأمم أو الجماعات . وهذه هي الآثار والنتائج الحتمية لما يسمي " العولمة " وهي في نفس الوقت الآثار والنتائج التي أرادها وخطط لها ويسعى إلي تحقيقها هؤلاء الذين وضعوا العولمة . ونظروا لها ويروجون لها بين الشعوب والدول ، بل ويستعملون كل وسائل الضغط لإجبار الحكومات على الأخذ بذلك النظام وتطبيقه ، بدءاً بالتلويح بالمعلومات المالية ، والقروض طويلة الأجل ، وانتهاءاً بشن الحروب الاقتصادية والسياسية ، مروراً بكل أنواع الضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية ... كل ذلك – وغيره كثير – أسلحة يستعملها واضعو هذا النظام المجرم الفاسد لإجبار الدول على الأخذ به ، وبخاصة الدول الشرقية ، وبالأخص الدول والشعوب الإسلامية ، إذ هي المقصود الأصلي والأهم بهذا النظام .

ويأتي هنا السؤال الكاشف عن هوية هذا النظام ، وأهداف واضعيه .. فما هويته ؟ وما محتواه ؟

وما أهداف واضعيه ؟

أما عن هويتها وحقيقتها فقد أشرنا إلي طرف من ذلك على الصفحات السابقة بإجمال . ولعلنا نزيد ذلك أيضاً فنقول إن العولمة قد أسئ فهمها لدي الجمهرة من المثقفين المتخصصين . إذ فهمها كل حسب ما تخصص فيه من جوانب العلوم أو الفنون .. فالاقتصاديون فهموها على أنه نظام اقتصادي والاجتماعيون فهموها على أنها نظام اجتماعي ، وكذلك السياسيون وأصحاب ما يسمي " القيم " وكل ذي تخصص فهمها ونظر إليها من خلال تخصصه ، وأخذ

يعالجها ويحللها انطلاقاً من فهمه هذا .. وكان ذلك خطأ وقع فيه الجميع .. والذي لا شك فيه أن نظام " العولمة " – إن صح أن يطلق عليها نظام – هو متعدد الجوانب ، شامل لكل جوانب الحياة . فهي تتناول الجانب الاقتصادي ، وكذلك تتناول الجانب الاجتماعي ، وكذلك الجانب الثقافي والحضاري ، إلى غير ذلك من جوانب حياة الأمم والشعوب . فهي لا تترك جانبا من الجوانب الحياتية لدى الشعوب والأمم والدول إلا وتتدخل فيه وتصوغه على النمط الغربي الأمريكي الإلحادي .. هذه هوية النظام وحقيقته .

أما أهدافه فقد أشار إليها بوضوح الكاتب الأمريكي " ديفد روشكويف " وزميله " داني رودويك " اللذان قررا – بوضوح شديد – أن هدف العولمة هو سيطرة أمريكا على العالم كله سيطرة تشمل الامور الحياتية كلها للناس اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وخلقيا .. الخ ، بل إن الكثيرين من الكتاب الداعين إلى العولمة يطالبون بتطبيقها بالقوة .. وهذا يعني أن العولمة تهدف للقضاء على الدين عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وقيما وأخلاقاً لدينا نحن المسلمين ، وتحويلنا إلى مسخ مشوهة تابعين للغرب في ثقافتنا وحضارتنا وأخلاقنا بعد أن كنا تابعين لهم اقتصاداً وسياسة فقط ..

إن الغرب وعلى رأسه أمريكا تعد لهذا الهدف وتبذل في سبيله الكثير منذ سنوات .. وليس ببعيد عنا ما أسموه " مؤتمرات السكان " التى عقد بعضها بمصر ، وبعضها بالصين .. وهذه المؤتمرات مثال واضح من الوسائل التى أخذ الغرب وأمريكا في استعمالها فعلاً للوصول إلى أهدافه التى كان منها الحرية الجنسية ، وإباحة الإجهاض ، وإهمال الزواج ، والترحيب بالشذوذ .. الخ والتي أرادوا أن تكون عليها مجتمعاتنا .. وأخيراً فلعله من المهم أن نذكر بأن المقصود أولاً وآخراً بالعولمة نشر الفساد والضلال والإلحاد ، إنما هي المجتمعات الإسلامية تحديداً ، إذ هي المجتمعات التي يخشى منها المجتمع الغربي ويرغب من أن تأخذ طريقها إلى الهيمنة .

جوانب العولمة : أو " مجالات العولمة " :

نشير هنا إشارة موجزة إلى أبرز جوانب – أو – مجالات العولمة خاصة ما يتعلق بتراثنا الثقافي .. من حيث إن أبرز ما يتعلق بهذا الموضوع قضية الثقافة وما تنبع عنه من الدين والأخلاق والقيم .

العولمة الثقافية :

من البديهي الثابت أن ثقافتنا الإسلامية ثقافة نوعية متميزة ، لها تفردها وخصوصيتها .. وخصوصية ثقافتنا وتميزها وتفردها قائم ومعتمد على مواردها ومنابعها التى تستقي منها ، حيث إن مصادر وموارد ثقافتنا هو الوحي الإلهي المتمثل في القرآن العظيم ، والسنة النبوية المطهرة وكلاهما رباني إلهي ، لا صلة له بالفكر البشري ، ولا بالآراء والنظريات والفلسفات التي يخترعها البشر ، وثقافتنا تلك المتميزة ينتج عن تميزها جانبان هامان ، وخصيصتان عظيمتان **الجانب الأول** : أنها ثقافة تشمل شئون الحياة كلها ، بحيث لا تدع جانبا من حياة الإنسان المسلم إلا وتشرع له أو تضع له ما يناسبه من تشريعات . فليس في حياة المسلم صغيرة ولا كبيرة إلا والإسلام قد شرع لها وشملها .. **الجانب الثاني** : أن المسلم ينظر إلى ثقافته ومواردها ومصادرها نظرة تقديس وتعظيم وإجلال ، لأنها دين ، والدين وحي ، والوحي من الله – سبحانه – فليس الإنسان المسلم في جوانب ثقافة مخيراً يأخذ أو يدع ، بل دينه وإسلامه هو الذي يملي عليه ويرشده ويهديه ، فلا يأخذ أو يدع إلا بتشريع وحكم من دينه .. وهكذا يتضح أن الاعتداء على الثقافة الإسلامية ممثلاً في العولمة هو اعتداء على دين الله الذي يدين به المسلم ، والذي يضحي في سبيله المسلم بالنفس والمال .

لكن !! هل أثر هذا التيار – أو سيؤثر مستقبلاً على ثقافتنا ؟؟

الباحثون في هذا الميدان بين متشائم ومتفائل .. منهم من يري التأثير الواضح حتى قبل ظهور هذا المصطلح – العولمة – ومنهم من يغرق في التفاؤل .. ويقول أن ثقافتنا لا يمكن بحال أن ينال منها ..

وأعود إلي الوراء – قبل ظهور هذا المصطلح – وبالتحديد منتصف القرن الميلادي المنصرف سنة ١٩٥٧ م عقد في جامعة برنستون مؤتمر ضم علماء مسلمين وآخرين أمريكيين لهم اهتمامات بالدراسات الإسلامية وكان منهم من قضي وقتا في الشرق الإسلامي وتولي التدريس في الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة .. أما المسلمون فكثير منهم أمريكيو الثقافة ممن تلقوا دراستهم في فرعي الجامعة – بيروت والقاهرة – وبعضهم اختير لما يتوسم فيه من القدرة علي توجيه التفكير في بلده .

أحدهم يحاول أن يبرهن علي أن نظام الحكم في الإسلام يطابق نظام الحكم الديمقراطي المعاصر .. مع أن الشورى في الإسلام تختلف في أصولها وأهدافها عن شورى النظام الديمقراطي .. ويميل بالقيم الإسلامية إلي أقصى ما تحتمله النصوص نحو القيم الغربية ، وبذلك يقع في الأحبولة التي دبرها الغربيون .. ففي سبيل الدفاع عن الشريعة ونفي تهمة الجمود التي يلصقها الغربيون بها ، ينحرف إلي أقصى الطرف المناقض في بيان ما تنطوي عليه من مرونة التطبيق حتى يبلغ بهذه المرونة حد الميوعة وانعدام الذات والمقومات ، التي تجعلها صالحة لأن تكون ذيلاً لأي نظام ، وتبعاً للأهواء ، وبذلك ينتهي إلي إلغاء وظيفة الدين (١) .

وهذا يدل علي مدي التأثر بالثقافة الغربية المناوئة لكل ما له علاقة بالإسلام.....

---

١ – د / محمد حسين .. " الإسلام والحضارة الغربية " باختصار ص (١٤٥ ، ١٤٦) .

وهذا يدعو إلي القول بأن أخطر مجالات العولمة فالخسران الثقافي لا يعوض بحال من الأحوال .. ولعل هذا واضح فيمن يطلق على بعضهم رموز الثقافة .

وبعض مظاهر العولمة الثقافية يمكن تحديده فيما يلي :

• تغييب الأساسيات الدينية ، سواء كانت مبادئ إيمانية أو أحكاماً شرعية تحت وطأة الفكر الإلحادي والنظريات المنحرفة عن الحقائق الدينية أو عن طريق الاستخفاف بها ، وما تمثله من حق مطلق .

• ومن هذه المظاهر تحريف المفاهيم المنبثقة من ثقافة الأمة لتأخذ مسار الوجهة الغربية في النظر إلي الحياة (١) .

• ومن ذلك ، الخروج بالمرأة عن أنوثتها الفطرية الإنسانية باسم الحرية ، وتحويلها إلي سلعة يتاجر بها ووسيلة جذب في الدعايات على أغلفة الصحف ، وتقديم البرامج الاغرائية في القنوات الفضائية واختلاطها .. ودفعها إلي منافسة الرجال ، والتحرر من الالتزامات .

• والنخب المثقفة المتغربة تقوم أيضاً بدورها على الرغم من استغناء الغرب الآن عن كثير من جهودها بحكم مباشرته لمهماته بنفسه لكنها تظل تواصل دورها في إغراق المجتمع المسلم بأنماط العولمة التي كانت قبل سنوات تنقل باسم الحداثة والتغريب (٢) .

إذا كان الهدف الأساسي من العولمة هو السيطرة على المسلمين خاصة ، تحقيقاً لهدف قديم طالما راودهم الأمل في تحقيقه ، فإنهم يعملون الآن على الاستفادة من التطورات العالمية من أجل تحقيقه .

---

١ - العولمة الغربية ص (٣٣ ، ٣٤) .

٢ - المصدر السابق ص (٣٨) .

المتفائلون يرون أنه لا خطر على ثقافتنا من هذا التيار الجارف

" وأن العولمة لا تمثل خطراً على مستقبل الثقافة الإسلامية ، وذلك لأن الثقافة في كل بلد مرتبطة بما يفعله أهلها ، الثقافة لا تصنع مصيرها بنفسها ، بل أهلها هم الذين يصنعون هذا المصير ، وهم الذين ينشرونها ، ويعمقونها ويعممونها ، فالأمر متوقف على المسلمين ، وعلى العرب دولاً وأفراداً ، مثقفين وأنصاف مثقفين ، بطبيعة الحال هناك مشاكل على صعيد التعليم ، هناك آفاق مغلقة أمام الشباب ، ومع ذلك فليس هذا هو نهاية العالم ... وثم فريق من المسلمين يرحب بالتعامل مع العولمة انطلاقاً من ثقتنا بعقيدتنا وتراثنا ولغتنا وحضارتنا الإسلامية التي تمثل هذه العناصر وقدرتها على المواجهة .. وبالمنطق الفعال نواجه هذه الظاهرة ، وكلنا ثقة أن قيم حضارتنا ستنجح في التغلغل داخل دائرة تسيطر عليها العولمة ، وهي الدائرة الغربية لأن في الإنسان نزعة للتطهر ، وهناك قيم في داخل تلك المجتمعات تلتقي مع قيمنا ، ولذا سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك ، وما تأتي به العلمانية التي لا تنظر إلى الإنسان إلا على أنه مستهلك مادي ليس إلا " (١) . وهذه نظرة خاطئة بقدر ما هي خطيرة ، وأخطر ما في ذلك الزعم بأن لديهم قيماً تلتقي مع قيمنا الإسلامية ، إن ذلك محض كذب وافتراء ، فإن قيم المجتمعات الغربية قيم مادية بحتة ، بينها وبين قيمنا الإلهية الإسلامية كمثل ما بين سماء الله وأرضه . ومن ثم يجب علينا أن نحرص على طهارة ثقافتنا ، وأن نحترز من أن نتلوث بتلك الثقافات الغربية الفاسدة . وأن نكون من ذلك على حذر شديد .

العولمة وحقوق الإنسان :

أثبتت الحروب الطاحنة التي نشبت في العصر الحديث – خاصة في القرن العشرين – أن إهمال حقوق الإنسان وإهدارها قد أفضى إلى أعمال همجية ووحشية انتهكت حياة ملايين الناس وحريتهم ، وكان ذلك من الأسباب التي دعت

---

١ – الإسلام والعولمة ص (٣٠ ، ٣١) .

إلي إصدار الميثاق العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ م ... ومن أهم ما أفرزته العولمة في السنوات الأخيرة الاهتمام بحقوق الإنسان ، تلك القضية التي خرجت من الدائرة الوطنية والمحلية في دول العالم إلي الآفاق الدولية ، واعتبارها مسألة تهم المجتمع الدولي ، ويستطيع أن يتخذ فيها عن طريق منظمة الأمم المتحدة أو الوكالات المختصة إجراءات معينة لمراقبة الدول التي ينتشر فيها إهمال أو إهدار لحقوق الإنسان .

إن مفردات حقوق الإنسان التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو التي وردت في اتفاقيتي الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية الصادرتين عام ١٩٦٦ م عن منظمة الأمم المتحدة هي حقوق قديمة في الإسلام ، اكتسبت مصطلحاً جديداً في المواثيق الدولية المعاصرة والحقوق الاقتصادية التي أقرتها الاتفاقيتان .. تقع غالباً مفرداتهما ضمن الحقوق التي منحها الله للفرد في المجتمع المسلم الذي يتكون وفق الولاية المتبادلة بين أفراده جميعاً ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾(١)﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٢)

وفي شأن المال تأتي فريضة الزكاة التي تجب على أغنياء المجتمع وترد على فقرائه ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ ﴾ (٣) ويحفظ الإسلام حداً كافياً للمعيشة لكل صاحب مال أو دخل يكفي حاجاته طبقاً لنفقته وظروفه قبل أن يفرض عليه كفالة غيره ، فما يؤخذ من زكاة إنما يؤخذ من الفائض الذي مضت عليه سنة كاملة دون أن يدخل في نفقات صاحبه وذلك على النصاب الذي حدده وعينه الشرع حتى يجب أخذ الزكاة من المكلف بها ... وبهذا يمنع الإسلام أن يزداد الأغنياء غني – وقد يكونون قلة – ويزداد

---

١ – سورة التوبة الآية رقم (٧١) .

٢ – سورة الحجرات الآية رقم (١٠)

٣ – سورة التوبة الآية رقم (٦٠)